بلاد القنفذة في عين مؤرخها حسن بن إبراهيم الفقيه (*)

إعداد وترتيب : أ. د. غيثان بن على بن جريس

(*) دراسة منشورة في كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب، لغيثان بن جريس، (الطبعة الأولى) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١م)، (الجزء الثاني)، ص ص ٣٣١ ـ ٣٥٨ . (الطبعة الثانية) (الرياض: مطابع الحميضي ١٤٤٢ هـ / ٢٠٢٠م)، ص ص ٣٢٣ ـ ٣٤٦ .

القسم الرابع :

بلاد القنفذة في عين مؤرخها حسن بن إبراهيم الفقيه [1]

(١) حسن إبراهيم الفقيه من مواليد ساحل يبة ، بمحافظة القنفذة عام (١٣٥٨هـ) بدأ تعليمه في القنفذة ، ثم مكة المكرمة ، وحصل على درجتي البكالوريوس والماجستير في اللغة العربية من جامعة الملك سعود (الرياض سابقاً) ، عمل في التفتيش الإداري والتعليمي ، ثم مديراً لتعليم القنفذة ، وأخيراً عميداً لكلية المعلمين بالقنفذة . والأستاذ الفقيه يعد ابناً باراً ببلاده ومسقط رأسه ، فقد قضى زهرة حياته في البحث والتنقيب . والدراسة لتاريخ وحضارة بلادة القنفذة ، وله العديد من البحوث والدراسات المنشورة وغير المنشورة ، ومن أهمها كتابا : //=

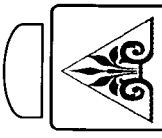

فهرس القسم الرابع :

م	الموضـــــــوع	رقم الصفحة
١ –	تمهيد :	٣٣٢ – ٣٣٦
٢ –	القنفذة : نظرة جغرافية وتاريخية	٣٣٦ – ٣٤١
٣ –	لمحات عن تاريخ وحضارة القنفذة في العصر الحديث	٣٤٢ – ٣٧٥
١٢ –	رأي للفقيه حول اسم القنفذة عند المؤرخ الجندي	٣٥٨ – ٣٧٥

١. تمهيد :

القنفذة إحدى الموانئ الرئيسة على البحر الأحمر ، معروفة بهذا الاسم منذ القرن (١٠هـ/١٦م)[١] ، ولكنها وصلت أوج مجدها وازدهارها في القرنين (١٣ــ١٤هـ/١٩ــ٢٠م) ، وبخاصة بعد وصول النفوذ العثماني إلى الجزيرة العربية، وبعد أن صارت إحدى المراكز السياسية والعسكرية والإدارية الرئيسة في عهد

=// مخلاف عشم ، ومدينة السرين، المطبوعين بمطابع الفرزدق بالرياض عام (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢). ومدينة ضنكان الأثرية (مخطوط) . ومدينة حلي بن يعقوب (مخطوط) ، والخلف والخليف (مخطوط) , وسوق حباشة (مخطوط) . له العديد من المشاركات الاجتماعية والثقافية والإصلاحية في جميع نواحي القنفذة ، كما أنه عضو في العديد من اللجان الدعوية والتعليمية والاجتماعية والإدارية . والأستاذ الفقيه يعاني حالياً بعض الأمراض ، نسأل الله أن يلبسه ثوب الصحة والعافية ، وأن يجازيه خير الجزاء على كل ما قدم وبذل لخدمة دينه ، ووطنه ، ودياره مسقط رأسه . كما آمل من أبنائنا وبناتنا الباحثين وطلاب الدراسات العليا في جامعاتنا السعودية أن يلتفتوا في دراساتهم وبحوثهم إلى مثل هؤلاء الرموز والرواد ، كحسن الفقيه وغيره، فيدرسوا مناهجهم وما قدموا لنا من أعمال تذكر فتشكر .(المؤلف).

(١) للمزيد انظر : ، عبد الملك العصامي . سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، (مصر: المطبعة السلفية ، د . ت) ج٢ ، ص ٤٣٧ ، ٤٧٦ ، قطب الدين النهروالي : البرق اليماني في الفتح العثماني (الرياض : منشورات اليمامة ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، ص ١٧٤، عاتق البلادي ، بين مكة واليمن (مكة المكرمة : دار مكة للنشر، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ، ص ١٢٨.

المتصرفية العثمانية في عسير (١٢٨٩ - ٣٣٧هـ/١٨٧٢- ١٩١٨م) [١]، ثم في بداية عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود [٢]. والقنفذة من البلاد المنسية عند الباحثين والمؤرخين ، وربما صعوبة مناخ تهامة - التي القنفذة جزء منه - وكذلك وقوعها في الوسط بين مكة المكرمة وجازان ، وعدم وجود طريق سهلة تصلها بتلك الحواضر[٣] ، كل هذا ساعد على انزوائها وعدم ارتيادها من قبل الدارسين والمؤرخين ، لذا بقيت مجهولة عند كثير من الباحثين [٤]، ومع هذا النسيان فقد

---

(١) للمزيد من التفصيلات عن وصول العثمانيين إلى الجزيرة العربية وسيطرتهم على معظم أجزائها انظر: عبد الله بن عبد الشكور . تاريخ أشراف وأمراء مكة . مخطوط ميكروفيلم ، جامعة الملك سعود ، رقم (ف /١/٤٤) ورقة (٨٦) ،علي أحمد عسيري. عسير (١٢٤٩هـ/١٨٣٣م - ١٢٨٩هـ/١٨٧٣م) (دراسة تاريخية)(أبها : نادي أبها الأدبي ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ، ص ١٥٨ وما بعدها ، عبد الله العثيمين . تاريخ المملكة العربية السعودية (الرياض : مطابع العبيكان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م) ، ج ١ ، ص ١٩١ وما بعدها ، أحمد يحيى آل فائع . دور آل المتحمي في مدة نفوذ الدولة السعودية الأولى في عسير وما جاورها (١٢١٥-١٢٣٣هـ/ ١٨٠٠- ١٨١٨م) (الرياض :مطابع الحميضي ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) ، ص ٩٩ وما بعدها .

(٢) للمزيد عن تاريخ جنوبي البلاد السعودية وبخاصة بلاد القنفذة وما حولها في بداية عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، انظر : عبد الله بن علي بن مسفر. السراج المنير في سيرة أمراء عسير (بيروت : موسسة الرسالة ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) ، ص ١٣٣ وما بعدها ، العثيمين، تاريخ المملكة ، حـ٢ ، ص ١٥، ١٧٣ ، محمد أحمد العقيلي . تاريخ المخلاف السليماني (الرياض : منشورات دار اليمامة ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ، ج٢، ص ٧٢٥ وما بعدها .

(٣) هكذا كان وضع بلاد القنفذة إلى عهد قريب ، ولكن منذ عقد أو عقدين تقريباً وصلت إليها عجلة التنمية، فأنشئت بها مؤسسات إدارية رئيسة، وشقت بها الطرق البرية الجيدة ، وسوف يتحسن حالها أكثر وأكثر مع اهتمامات أمير مكة المكرمة (خالد الفيصل) بها في أيامنا الحالية.

(٤) من يستقريء كتب التراث المتأخرة حتى القرنين (١٠-١١هـ/ ١٦- ١٧م)، فإنه لا يجد ذكراً كثيراً لبلاد القنفذة، ولكن بعد مجيء العثمانيين إلى الجزيرة، ووصولهم إلى بلاد عسير، واكتشاف أهمية بلاد القنفذة صاروا يولونها اهتماماً كبيراً. ولهذا فإنني أنادي الباحثين وطلاب الدراسات العليا أن يولوا أرض القنفذة كبير اهتمام وبخاصة من القرن (١٢-١٤هـ/ ١٨-٢٠م)، وذلك لما يتوفر عنها من وثائق وسجلات ومخطوطات، وغالبيتها توجد في دور الأراشيف العثمانية في اسطنبول والقاهرة ولندن وغيرها.

جاء ابنها البار الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه وبدأ يفتش عن مكنوناتها التاريخية والحضارية ، وقام بنشر بعض المقالات والبحوث في الجرائد والمجلات المحلية ، كما سعى إلى نشر بعض المؤلفات التاريخية والأثرية عن بعض نواحيها أو النواحي المحيطة بها [١]، وكل هذه الجهود الفردية جعلت بعض الباحثين وطلاب الدراسات العليا يلتفتون إلى هذه المنطقة فيدرسون بعض حقبها وجوانبها التاريخية والثقافية والحضارية [٢].

وفي هذا القسم من هذا الكتاب ، نركز على بلاد القنفذة كما شاهدها وأرخ لها حسن بن إبراهيم الفقيه [٣]، ومع أنني لم أعرف الأستاذ الفقيه عن قرب ، وإنما عرفته وعرفت تاريخ القفنذة من خلال ما اطلعت عليه وقرأته من كتب وبحوث قام بإعدادها في العقود الماضية المتأخرة . وفي عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) حصلت على سنة تفرغ علمي من جامعتي (جامعة الملك خالد) ، وعكفت على دراسة الجزء الأول من تاريخ نجران ، وفي تلك الفترة قمت بالعديد من الجولات في بلادنا الكريمة وبخاصة جنوبها من جازان ونجران إلى مكة المكرمة والطائف ، وفي أثناء

---

(١) له العديد من المشاركات المطبوعة والمنشورة ، وأفضلها ما نشره عن مخلاف عشم ، ومدينة السرين .

(٢) من يلق نظرة على قائمة المكتبات الرسمية ، وأقسام التاريخ في بلادنا الغالية ، فإنه يجد بعض الكتب والرسائل العلمية الخاصة ببلاد القنفذة ، أو ببعض أجزاء من جنوبي الجزيرة العربية ، وللقنفذة فيها ذكر وتاريخ . كما أن أحد أبنائها البارين أيضاً ، وهو الأستاذ الدكتور/ أحمد عمر الزيلعي أخرج عنها العديد من البحوث والدراسات العلمية الأكاديمية الجيدة ، وأتمنى أن أرى البعض من أبناء وبنات تلك البلاد ، وبخاصة الباحثين والدارسين منهم ، فيولوا ديارهم كبير اهتمام في بحوثهم ودراساتهم .

(٣) أتمنى أن أرى من طلابنا وطالباتنا في أقسام الدراسات العليا بجامعاتنا وبخاصة الذين يعيشون في الأجزاء التهامية الممتدة من مكة إلى جازان ، من يفرد دراسة مستقلة عن الأستاذ / حسن بن إبراهيم الفقيه ، فهو فعلاً جدير بدراسة مستقلة توضح أعماله وجهوده العلمية والثقافية والاجتماعية في بلدته القنفذة .

تلك الجولات نزلت ضيفاً على محافظ القنفذة الأستاذ/ عبد الله القناوي ، وقمت ببعض الجولات في قراها وبواديها وجبالها ، ورأيت أن أخرج دراسة علمية عن هذه الناحية المنسية [١].

وكان ضمن تنقلاتي في هذه الديار أن زرت الأستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه في منزله بوسط مدينة القنفذة ، وكانت المقابلة الأولى ، فأحسن استقبالي ، وأخذني إلى مكتبته الخاصة وتداولنا أطراف الحديث عن تاريخ القنفذة ، وأبديت له رغبتي في إخراج كتاب عن محافظة القنفذة ، ووجدت منه التشجيع والحث الكريمين ، كما أنه أبدى استعداده في التعاون معي بكل ما يستطيع ، كما أرشدني إلى العديد من الأمور والتوجيهات السديدة ، ثم زرته أثناء إقامتي في القنفذة ، مرة ثانية ، وقدمت له خطاباً يحتوي على تسع نقاط ، كلها تدور في فلك تاريخ وحضارة منطقة القنفذة في العصر الحديث ، ورجوته أن يزودني بكل ما يستطيع عن تاريخ هذه الناحية . وبعد حوالي شهرين أرسل لي إجابات جيدة عن تلك النقاط التسع ، ومرت الأيام إلى صيف عام (١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، فوجدت أن بحثنا الذي نعتزم إخراجه عن بلاد القنفذة قد تأخر كثيراً ، مع أن معظمه أصبح جاهزاً ، وفي أثناء عملنا في الجزء الثاني من مؤلفنا : **القول المكتوب في تاريخ الجنوب** ، قررت نشر بعض الشيء المفيد عن تاريخ وحضارة القنفذة ، وكان الأستاذ / حسن إبراهيم الفقيه هو الذي يستحق أن نذكره ونحفظ بعض حقوقه العلمية ، لهذا أفردنا هذا القسم عن بعض أعماله ، والتي تتمثل في ثلاثة محاور , هي :

أ – القنفذة : نظرة جغرافية وتاريخية ، وهذه الدراسة من مدونات الأستاذ الفقيه.

ب – لمحات عن تاريخ وحضارة القنفذة في العصر الحديث ، وهذه إجابات الشيخ الفقيه على خطابنا الذي أُعطي له أثناء زيارته في داره بالقنفذة عام

---

(١) وهذا ما لمسته عندما بدأت أبحث عن تاريخ وأدب القنفذة في المكتبات الرئيسة في البلاد ، وعند بيوت العلم والثقافة في منطقة القنفذة وما جاورها .

(١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، ومن باب الأمانة فقد أوردنا هذه الأقوال المدونة كما وصلتنا من صاحبها مع إجراء بعض التعديلات الطفيفة عليها .

ج – رأي للأستاذ الفقيه حول من يذكر أن اسم القنفذة ورد عند المؤرخ اليمني الجندي ، وهو يعارض هذا الرأي ، ويؤكد على أن مصطلح اسم القنفذة لم يظهر إلا بعد عصر الجندي، وعلى وجه التحديد في القرن (١٠هـ/١٦م).

٢. القنفذة : نظرة جغرافية وتاريخية : (*)

إذا أمعنت النظر في موقع (جزيرة البلم) [١] وقربها الشديد من الجزء المقابل من ساحل البحر الأحمر ، حيث تقع مدينة القنفذة عند المصب الرئيس لوادي (قنونا)[٢]، لا يخالك شك في أن المرسى الواقع بين هذه الجزيرة والساحل المذكور قد وجه أنظار رواد البحر ، وسكان البرية الذين تقرب ديارهم من المصب المذكور ، إلى هذا التميز الواضح لأهمية هذا الموقع ، وذلك المرسى ، وتفرد بهذه الخاصية الجغرافية ، التي تجعل من تلك الجزيرة والشعب[٣] المرجاني المتصل بها شمالاً وجنوباً مرسى طبيعياً هادئاً لا يكاد يضارعه مرسى آخر ، فيما قرب منه من ساحل البحر شمالاً وجنوباً ، اتخذوه مستراحاً لسفنهم ، ومرتاداً خلال رحلاتهم للتجارة أو الصيد.

واقتضى هذا الارتياد ــ بديهياً ــ قيام خدمات يقوم بها سكان البرية تلك ، وأصحاب السفن ، كجلبهم المياه والحبوب والحطب والأغنام ، وغيرها كما يشرون من أرباب السفن ما يجلبونه من المرة وأنواع السلع الأخرى التي يحملونها من موانئ إفريقية وآسيوية . ومن هنا تبدو لنا بدايات عمرانية

(*) هذا البحث للأستاذ حسن الفقيه ، عميد كلية إعداد المعلمين بالقنفذة سابقاً ، نشرته بلدية القنفذة في إصدار خاص بها بعنوان : القنفذة لؤلؤة على الساحل (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) ، ص ٣٠ــ٣٣ وحواشي هذه الدراسه توجد في نهاية البحث نفسه . (المؤلف).

قامت بجوار هذا المرسى، وتطورت من خلال هجرات سكانية إليها حتى أصبحت مدينة بحرية ، تقوم حياتها على نشاط هذا المرسى وظهيره السهلي ، والجبلي ولا يبعد أن يكون هذا المرسى الطبيعي قد عرف وارتيد منذ أزمنة بعيدة قد تعود لما قبل الميلاد ، يؤيد هذا أنه تتدلى عليها من الشرق التلال الجبلية التهامية التي كان سكانها يشتهرون باستخلاص معدن الذهب [٤] من إسناد الجبال ، ليبيعوا ما يستخرجونه على مرتادي المراسي البحرية المقابلة لتلك التلال ، ويؤكد هذا المنحى أن هذا الموقع يقع في نطاق المنطقة التي سميت (أوفير: عفير) [٥]، التي قال عنها الدكتور جواد علي بأنها كانت معروفة بوجود التبر (معدن الذهب) ، وأن الناس كانوا يشتغلون فيها باستخلاص الذهب [٦]، وأن رحلات السفن العبرانية والفينيقية والآشورية كانت تجوب سواحل البحر الأحمر لاكتشاف وشراء هذا المعدن الذي كانت تعود بكميات منه تذهل العقل [٧] .

ومما أشار إليه الدكتور جواد علي أن منطقة (عفير) ، هي تلك التي تقع بين (القنفذة ومرسى " حلج " : حلي ") أو أنها تلك التي بين (القنفذة وعتود) ، وتستند هذه المعلومات إلى المؤلفات اليونانية القديمة والكتب العربية . وتجدر الإشارة إلى أن المؤلفات العربية تحدثت عن (معدن ذهب عشم)[٩] و(معدن ذهب ضنكان)[١٠] والموقعان كلاهما يقع في إطار ما بين : (القنفذة وحلي وعتود) وأنهما من أشهر معادن جنوب غرب الجزيرة العربية . كما تجدر الإشارة إلى أن (قرية عشم)[١١] التي قامت على تعدين الذهب لا تبعد عن (القنفذة) بأكثر من ثلاثة وستين ميلاً في الشمال الشرقي ، وأن مدينة (ضنكان) [١٢] ، لا تبعد عنها بأكثر من مئة وأربعين كيلاً إلى الجنوب الشرقي .

ويظهر أن هذه المدينة (القنفذة) لم تنشأ إلا في وقت لاحق من العصر الإسلامي ، يعود إلى ما حول القرن الثامن أو التاسع الهجريين، ذلك أن آخر المعلومات التي وصلنا إليها وذكر فيها اسم (القنفذة) ، ما جاء في كتاب

(السلوك) للجندي (ت : ٧٣٢هـ) [١٣]، عندما تعرض لذكر علماء (حلي) ، ومما قال: (مدينة حلي وتسمى القنفذة)[١٤]. ومع الخطأ الذي يحمله هذا التعريف ، إذ أن (مدينة حلي) غير (مدينة القنفذة) وقد أشار إلى ذلك محقق الكتاب الشيخ محمد بن علي الأكوع [١٥]، (رحمه الله) إلا أنه يستفاد من كلام الجندي أن (القنفذة) اسم لمسمى في عصره، يقع قريباً من تخوم (حلي) ، إلا إذا أصبح شكنا بأنه لا يبعد أن يكون قد أقحم اسم (القنفذة) في نص الجندي هذا من قبل أحد نساخ كتابه ، الذي اعتمد المحقق في تحقيقه على نسختين منه : إحداهما مصورة دار الكتب الوطنية بمصر ، والأخرى مصورة باريس ، الأولى انتهى نسخها في (٨٧٧/١٢/٧هـ)، والأخرى انتهى نسخها في (٨٢٠/٨/٩هـ)[١٦] ويذكرالمحقق وجود صفحات مفقودة من نسخة دار الكتب ، وأن نسخة باريس كاملة، وبخط أجمل من الأولى[١٧]. وقد بدأنا محاولة التثبت مما في المصورتين المذكورتين[١٨]، لتأكيد الشك أو دفعه ، ولم ننته بعد . ويقوى شكنا هذا أن اسم (القنفذة) لم يرد في مؤلفات ما قبل عصر الجندي التي عدنا إليها وهي كثر ، وكذلك فيما بعد عصر الجندي إلى مطلع القرن العاشر . ونشير هنا إلى أنه ورد ذكر اسم قرية (قنونا) عند أبي الحسن الخزرجي (ت : ٨١٢هـ) [١٩] ، وهو قريب العصر من الجندي , حيث أورد ذكر اسم هذه القرية عندما سجل زمان ومكان وفاة الفقيه: هارون بن عثمان الحسائي ثم الحميري , حيث ذكر أنه مات وهو عائد من الحج في قرية تعرف بـ (قنونا) في أول المحرم من سنة (٧١٧هـ) [٢٠] . كما أشار إلى قرية (قنونا) المؤرخ المكي الفاسي (٧٧٥ – ٨٣٢) وهو معاصر للجندي[٢١]، حيث قال : في هذه السنة (٨١٦هـ) ارتفعت الأسعار حتى بلغ ثمن الغرارة المكية ثلاثين مثقالاً ذهباً ، وأن أهل اليمن وسواكن ومكة صاروا يجلبون الذرة من قرية (قنونا)[٢٢]، ويقول : (وما عرفت أن مثل هذه القرية الصغيرة تمير أهل اليمن وسواكن)[٢٣] وهنا نذكر :

إنه لن يحمل الحبوب إلى (سواكن) الواقعة على الساحل الغربي للبحر الأحمر من قرية (قنونا) الواقعة في مكان من الساحل الشرقي للبحر المذكور إلا السفن التي تمخر بها من هذا المرسى ، الذي قامت عليه مدينة القنفذة .

ولما سبق ذكره من اسم قرية (قنونا) عند الخزرجي قريب العصر من الجندي وعند الفاسي معاصر الخزرجي الذي عاش بعدهما ، قام الشك في صحة ذكر اسم القنفذة في كتاب الجندي مار الذكر ، الذي يعود تأليفه إلى نهاية القرن السابع أو مطلع القرن الثامن الهجريين حيث إن وفاة الجندي كانت حول (٧٣٢هـ) . وإلى أن نتأكد من صحة أو نفي ورود ذكر اسم القنفذة عند الجندي ، يبقى ذكر إعادة وجود هذه المدينة بمسماها المذكور منذ القرن السابع أو الثامن الهجريين محل نظر.

وهذا لا يمنع من القول بأن نشأة نواة مدينة القنفذة لا يبعد أن تكون في القرن السابع أو الثامن الهجريين , علماً بأنه من الواضح أن القرن التاسع الهجري هو في نظرنا قرن مخاض ولادة اسمها الذي نطالعه صريحاً في أحداث مطلع القرن العاشر الهجري ، وبالتحديد في سنتي(٩٠٧/٩٠٨هـ) [٢٤] ، ثم تردد ذكرها بعد ذلك في المؤلفات التاريخية ، وكتب الرحالة العرب وغير العرب .

الهوامش :

(١) البلم : نوع من صغار السمك الذي يستعمل طعماً ، بحيث تشبك الواحدة في سنارة الصيد التي ترمى في البحر ليصطاد بها صيادو السمك ، ولعل هذا النوع كان يكثر في مواسم معينة حول هذه الجزيرة فسميت به ، كما أنها تسمى: (جزيرة البلد) نسبة إلى (بلدة القنفذة)، وتسمى أيضاً (جزيرة السقالة) نسبة إلى : سقالة الميناء ، وهي اللسان المبني من جوار الساحل في اليابسة إلى داخل مياه مرسى القنفذة ، لتفرغ عليه وتنقل منه السفن بضائعها ، وتربط فيه عند رسوها ، وكذلك لتربط أو ترسو بجانبه قوارب الصيد الصغيرة والمتوسطة إلى اليوم .

(٢) قنونا : اسم الوادي التهامي الذي يمتد من الصدر الغربية لجبال السروات ، وترفده بعض الأودية الجبلية الكبار لتشكل منه وادي (قنونا) ، ولمزيد من التفصيل انظر : (الحموي : ياقوت : معجم البلدان : دار صادر ، بيروت:مادة : " قنونا " .

(٣) هذا الشعب المرجاني : يسمى (شعب الجزيرة) نسبة إلى الجزيرة التي يتصل بها .

(٤-١٢) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (دار العلم بيروت ، مكتبة النهضة : بغداد ، الطبعة الاولى : ١٩٦٨م، ١٩٢، ١٩٣، أرسلان : الأمير شكيب ، الارتسامات اللطاف تعليق : السيد محمد رشيد رضا : الطبعة الأولى : ١٣٥٠هـ ، ٢٢٢ ، موريتس : برنارد : " المعادن في البلاد العربية القديمة " : تعريب أمين رويحة : مجلة العرب : ج ٧ ، س٢محرم ١٣٨٨هـ ، ص ٥٨٠ ــ ص ٥٨٨، الجاسر : حمد : " المعادن القديمة في بلاد العرب " : مجلة العرب : ج ١٠ : س٢ ربيع الآخر ١٣٨٨هـ، ص ٩٠٧ ، ٩٠٩ " الهمداني: أبو محمد : الحسن بن أحمد بن يعقوب: . صفة جزيرة العرب : تحقيق : محمد بن علي الأكوع ، أشرف على طبعه: حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض : ١٣٩٤هـ ، ص ٢٥٩، الفقيه: حسن بن إبراهيم، مواقع أثرية في تهامة : مخلاف عشم ، مطابع الفرزدق ، الرياض ، ١٤١٣هـ .

(١٣) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي السكسكي الكندي الملقب : بهاء الدين ، عالم يمني وفقيه شافعي مشهور ، له العديد من المؤلفات ، ولمزيد من التفصيل عن ترجمته انظر: كتابه : السلوك في طبقات العلماء والملوك. تحقيق محمد بن علي الأكوع ، نشر مكتبة الإرشاد ، صنعاء الطبعة الأولى : (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م) ، ج١: ص " ٤٩ ــ ٥٥ " .

(١٤– ١٥) الجندي : " السلوك في طبقات العلمـــاء والملـــوك " ، ج ٢ ، ص٢٨٢ وهامـــشها رقم"١".

(١٦–١٧) المصدر السابق ، ج١ ، ص٤٦ ، ٤٧ .

(١٨) كلفت أحد أبنائي بالشخوص إلى دار الكتب الوطنية بمصر للحصول على صورة الـــصفحة التي ورد بها عبارة (.. مدينة حلي وتسمى القنفذة) من نسخة دار الكتب ، ويظهـــر أن اللوحة التي بها هذه العبارة من اللوحتين المفقودتين من نسخة الدار المذكورة، وقد أحضر لي من المصورة (٢٠٤) لوحة ، مستنسخة من مايكروفيلم ، ويظهر من المقابلة بـــين لوحاتهـــا والكتاب المطبوع أن نسخة دار الكتب ربما استغرق تصويرها أكثر من فيلم ، وقد اعتمـــد محققه على نسخة (باريس) التي عدها أصلاً للكتاب ، ونأمل أن نحصل على نسخة منها أو نطلع على الأقل على بغيتنا منها ، والمحاولة جارية .

(١٩) هو أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن بن وهاس الخزرجي الزبيـــدي مـــؤرخ يمني ، وبحاثة ، عاش نيفاً وسبعين سنة ، له مجموعة من المؤلفات التاريخية ، وديـــوان شـــعر: انظر: الإعلام للزركلي (٨٣/٥، ٨٤) .

(٢٠) الخزرجي : علي بن الحسن : العقود الؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، تـــصحيح محمـــد بسيوني ، مصر ، ١٣٢٩هـــ . ح٢ ، ص ٤٢٦ .

(٢١) هو : أبو الطيب : محمد بن أحمد بن علي بن محمد الحسني الفاسي المكي ، ولد بمكة ونشأ بها وبالمدينة المنورة ، وأخذ عن علمائها ، وتولى الكثير من المناصب العلمية حتى صـــار شـــيخ الحرم ، وعني بالتأليف في تاريخ مكة خاصة ، وبالتدريس : انظر: كتابه : (العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين) ، نشر: محمد سرور الصبان ، مطبعة السنة المحمديـــة : القـــاهرة : ١٣٧٩هـــ – ١٩٥٩م مقدمة عن التعريف بالكتاب ومؤلفه : ص : " و " ، " ز" .

(٢٢– ٢٣) الفاسي أبو الطيب : محمد بن أحمد . شفاء الغرام بأخبـــار البلـــد الحـــرام .تحقيـــق د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى : ١٤٠٥هـــ – ١٩٨٥م ، ج٢ ص "٤٤١ " .

(٢٤) انظر: (١– العصامي : عبد الملك بن قريب : سمط النجوم العوالي ، المطبعة السلفية مصر : ج ٤ ص "٢٨٤ ، ٢٨٥ " ابن القاسم : يحيى بن الحسين : غاية الأماني في اخبـــار القطـــر اليماني : تحقيق د . سعيد عبد الفتاح مراجعة . د . محمد مصطفى زيادة . دار الكتاب العربي للطباعة والنشر – القاهرة ١٣٨٨هـــ – ١٩٨٦ م ج : ٢ص : ٦٣٢) .

٣ . لمحات عن تاريخ وحضارة القنفذة في العصر الحديث :

سعادة الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس , وفقه الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأرجو الله لكم موفور الصحة والسعادة وأن يديم عليكم جل وعلا نعمه ظاهرة وباطنة . أما بعد: فإجابة لرسالتكم المؤرخة في (١٤٢٤/٤/٧هـ) وما أو ضحته عن عزم سعادتكم على تأليف كتب عن تاريخ محافظة القنفذة وحضارتها خلال الثلاثة القرون الهجرية الماضية ورغبتكم في التعاون معكم في ذلك وحاجة بحثكم إلى بعض الوثائق أو أي معلومة تساعد على ذلك ، ورغبتكم في إجابتي على النقاط التسع التي تضمنتها رسالتكم الكريمة، فيسرني أن أجيب أولاً على النقاط المذكورة بالآتي : [١]

أولاً : محافظة القنفذة : كما تعلمون إحدى محافظات منطقة مكة المكرمة ، وتأتي من حيث الكثافة السكانية والعمرانية والانتشار الجغرافي في المكانة الثالثة بعد محافظتي جدة والطائف . وتتكون هذه المحافظة من حيث التضاريس الجغرافية إلى ثلاث نطاقات ، هي :

١ــ نطاق بحري جزائري يكونه جزء البحر الأحمر الذي تتدلى عليه من الشرق نطاقاتها الجبلية والصحراوية والسهلية الساحلية ، ويضم هذا النطاق المياه الإقليمية للملكة الذي يمتد في موازاة ساحلها من البحر الأحمر ويتناثر في هذا الجزء مجموعة من الجزر الصغيرة والكبيرة التي يعد بعضها من مواقع النزهة والسياحة البحرية في المملكة , وأهمها :

أ ــ جزيرة " جبل الصبايا " : وتعد هذه الجزيرة أكبر هذه الجزر البحرية السياحية يقدر طولها بسبعة أكيال طولاً من الجنوب إلى الشمال ويتراوح عرضها بين نصف الكيل في رأسيها الشمالي والجنوبي إلى نحو الكيلين والنصف في أوسع مساحات عرضها " وسط الجزيرة " .

---

(١) هذه الإجابة كاملة مكتوبة بخط الأستاذ حسن الفقيه ، ومرسلة إلينا في منتصف عام (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، وتوجد ضمن مكتبة د . غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق الخاصة .

الصفحة الأولى من مذكرة الأستاذ حسن الفقيه المرسلة إلى المؤلف في عام (١٤٢٤هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

حسن بن إبراهيم الفقيه
عميد كلية المعلمين بالقنفذة سابقاً
هاتف ٠٧-٧٣٢٠٨٢٣
٠٧-٧٣٢١٠٥٢
فاكس ٠٧-٧٣٢٠٨٢٣

(١)

التاريخ / / ١٤هـ
الموافق / / ١٩م

سعادة الأستاذ الدكتور غسان بن علي بن جريس وفقه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأرجو الله لكم موفور الصحة والسعادة وأن يديم عليكم جل وعلا نعمه ظاهرة وباطنة، أما بعد:

فإجابة لرسالتكم المؤرخة في ١٤/٨/١٤٢٤هـ وما أوضحتم عن عزمكم سعادتكم على تأليف كتاب عن تاريخ محافظة القنفذة وعضاريتها خلال الثلاثة القرون الهجرية الماضية ورغبتكم في المساعدة فكلم في ذلك وحاجة بحثكم إلى بعض الوثائق أو أي معلومة تساعدكم في ذلك، وإشارة في إجابتي عن النقاط التسع التي تضمنتها رسالتكم الكريمة، فيسرني أنه أجيب أو أرد على النقاط المذكورة بالآتي:

(١) محافظة القنفذة كما تعلمون إحدى محافظات منطقة مكة المكرمة وتأتي من حيث الكثافة السكانية والعرقية والانتشار الجغرافي في المرتبة الثالثة بعد محافظتي جدة والطائف.

وتتكون هذه المحافظة من حيث التضاريس الجغرافية إلى ثلاثة نطاقات:

أولاً- نطاق بحري ساحلي يكون جزء البحر الأحمر الذي تشرف عليه من الشرق نطاقا قاحلا الجبلية والصحراوية والسهلية الساحلية.

ويضم هذا النطاق الأراضي الساحلية للمملكة التي تمتد في موازاة ساحل من البحر الأحمر وتتأثر في هذا الجزء مجموعة من الجزر الصغيرة والكبيرة التي يعد بعضها من مواقع النزهة والسياحة البحرية في المملكة والعالم.

ب ــ جزيرة أم القماري: وهي من المواقع المحمية الخاضعة لإشراف المؤسسة العامة لحماية البيئة وإنماء الحياة الفطرية . وكانت منذ القدم ولا تزال متنزهاً لأهالي القنفذة والوافدين إليها وخاصة في مواسم قيام الزراعة في سواحل أودية المحافظة القريبة من موقع الجزيرة التي تبعد عن شاطيء البحر الأحمر المقابل لها من الشرق بنحو خمسة أكيال ، وهي مشهورة بكثرة طيور (القمارى) التي تغدو خماصاً وتروح إليها بطانا في مواسم الزراعة ومواسم تفريخها حيث تتوفر لها حياة هادئة وآمنة في مجموعه الغابة التي تكسو سطح هذه الجزيرة ؛ المكونة من أشجار الأراك والحمض والصاب وشجيرات أخرى ، تبنى في أغصانها وفروع أشجاره أعشاشها لتضع بيضها وتفقسها لتعيش فراخها التي تسهم في ازدياد ثروة الجزيرة من هذه الطيور، ويعيش مع هذا النوع من الطيور مجموعات من طيور "النورس" و" البجع" وغيرها، وتبعد هذه الجزيرة عن مدينة " القنفذة " جنوباً بنحو خمسة وعشرين كيلاً . وقد أثرت الأضواء الكهربائية التي تضاء في منشآت شركة كهرباء تهامة المقامة على خشم جبل " القنع " القريب منها ثلاثة عشر كيلاً على هدوء هذه الطيور ووجودها حيث تقلصت أعدادها بسبب الإزعاج الذي تمثله الأضواء وانعكاسها على صفحة البحر الأحمر الممتد جزؤها بين موقع الجزيرة وموقع شركة الكهرباء .

ج ــ جبل القنع : ويسمى " جبلاً " لامتداده بارتفاع على جزء من شاطئ البحر ، ويبعد عن مدينة القنفذة بـ (١٢) كيلاً شرقاً إلى الجنوب قليلاً ، وتنتظم مجموعة من أشجار النخيل ونخيل الدوم ونباتات الحلفاء بين جرف الشاطئ وأسفل السفح الغربي لهذا الجبل مشكلاً

ذلك منظراً طبيعياً آسراً ، كان السكان يجدون فيه متعة ومتنزهاً سواءً في المقيل تحت أشجار النخيل أو فوق مسطحات هذا الجبل أو التل الصخري الجزري ليلاً ، وتمتاز متحجراته ورماله بنصاعة لونها الأبيض الذي يدخل في تكوين جدران المنازل الحجرية والإسمنتية من مدينة القنفذة عند رشها برماله المخلوطة بالنورة، ويشرف سفحه الشرقي على جزء من الامتداد السبخي والخبتي الذي يمتد إلى الشرق والشمال والجنوب من السهل الساحلي التهامي ، ويقرب من هذا السفح امتداد الطريق القديم للحج " الطريق السلطاني " التهامي الذي سلكته قوافل الحج والتجارة منذ ما قبل الإسلام حتى وقت قريب من عصرنا . ويمتد جبل القنع من الشمال إلى الجنوب لمسافة سبعة أكيال وبعرض يتراوح بين نصف الكيل في رأسه الشمالي إلى ثلث الكيل في رأسه الجنوبي ووسطه. وتمتد بموازاته من الشرق سبخة مشهورة باسم (الدَّنَسة)

د ــ مجموعة من الجزر البحرية الصغيرة والطويلة: التي تعد بالعشرات في الشمال والجنوب والغرب عن موقع مدينة القنفذة على طول امتداد الساحل الغربي للمحافظة الذي يبلغ نحو مئة وثلاثين كيلاً . تقع مدينة القنفذة في نقطة المنتصف من هذا الامتداد. ويجد فيها صيادو الأسماك وفي عشرات الشعاب المرجانية بجوارها مناطق صيد غزير أهكته في الآونة الأخيرة رحلات القوارب المتوسطة الحجم ذات الشباك الجرارة التي عاشت ولازالت تعيش في مصائد أسماك المحافظة ، وزاد من ذلك رحلات الصيادين إلى هذه المصائد من مدن أخرى بدءاً من مدن ينبع وأملج والوجه

وضبا وما جاورها من الشمال إلى مدينة جازان وما جاورها من مدن سعودية وغير سعودية في الجنوب ، ويجد هواة الصيد والسياحة البحرية في هذا النطاق (البحري الجزائري) من محافظة القنفذة أمتع مواقع السياحة والنزهة البحرية والصيد إلى يومنا هذا .

٢- نطاق صحراوي سهلي ساحلي : ويمتد شرقاً عن النطاق السابق وموازياً له , ويمتد هذا النطاق من الشمال إلى الجنوب بنحو مئة وثلاثين كيلاً وبعرض يتراوح بين الخمسة والعشرين كيلاً إلى الأربعين كيلاً ، ينحدر من الشرق إلى الغرب وفقاً لطبيعة التركيب الجغرافي الطبوغرافي لامتداد جبال السروات ومنحدرات صدرها الغربية، فالجبال التهامية التي تنحدر ارتفاعاتها في انسياب متدرج وحاد التدرج أحياناً على شاطئ البحر الأحمر ، وتشكل الأنهار الجافة (الأودية التهامية) مظهر هذا التركيب الجغرافي ، حيث تجري السيول المكونة من الزخات المطرية التي تسقط على الجبال وسفوحها الغربية والجبال التهامية والسهول شاقة طريقها في صورة أخاديد(أودية) تتراوح بين العميقة وشبه العميقة في التضاريس الجبلية والسهلية الصحراوية , حيث تقوم عليها حياة زراعية ورعوية منذ كانت هذه التكوينات وتنوعت تضاريسها . وفي هذا النطاق قامت منذ القدم مئات القرى الكبيرة والصغيرة وخاصة على حروف الأودية وكونت على مر العصور لها حيازات زراعية على نوعين :

أ- أراضي خبتية : تمتد بين امتداد وادٍ وآخر وهي بمساحات طويلة تقوم فيها زراعات بعلية تعتمد على الأمطار ، ومراع سهلية تعيش على بساطها الأخضر في مواسم الأمطار آلاف الأنعام من ضأن ومعز وبقر وإبل . وتتكون في منخفضات منها (الأسرار) جمع (سِرّ) وهي تجمعات شجرية يطلق عليها أيضاً اسم (العقد) جمع (عقدة)،

وهي عبارة عن غابات بسيطة من أشجار السلم والسمر في غالبها وأشجار، وشجيرات أخرى ، وفي الآونة الأخيرة انتشرت في هذا النطاق وخاصة ما قرب منه من قرى الأودية المزارع التي تعتمد في سقياها على الآبار المحفورة آلياً (ارتوازيات) ، وقليل على الآبار التقليدية التي تطوى بصبات من الإسمنت المسلح، ويستخرج الماء منها بالآلات الحديثة.

ب ـ أراضٍ طينية ترسيبية (الحياض الزراعية): التي كونتها ترسبات السيول على مدار العصور، وأسهمت يد الإنسان في استصلاحها وتحسينها وتقسيمها وعمل (قنوات الري) التقليدية والأحباس الموجهة لتدفق مياه السيول . وتعد هذه الأراضي أخصب التربات الزراعية وأجودها زراعة وأكثرها تنوعاً في المحاصيل ، وتعتمد بدرجة رئيسة على مياه السيول ، وربما قامت فيها زراعة على سقوط الأمطار، إذا لم يكن هناك ري لها إلا بها عند انعدام تدفق السيول.

وعلى قرى هذه الأراضي قامت منذ أزمان سحيقة حياة زراعية في الدرجة الأولى ورعوية، وانتشرت بجوارها القرى الآهلة بالسكان المتصلة ببعضها وامتدت على مسافات طويلة من مدن تهامية أو جبلية، وساد اليسر المادي والاستقرار المدني في قرى هذه الأراضي، وتشكلت فيها بسبب كل ذلك حياة قروية حضرية ونشاطات إنسانية مختلفة كمزاولة بعض الأعمال التجارية والمهنية التي تتطلبها طبيعة الحياة الحضرية ، ونشأت تبعاً لذلك فيها نشاطات علمية وثقافية أكثر منها في أي نطاق جغرافي إلى أن جاء عصر النهضة العامة في كل الميادين في عصر النهضة الحديثة، وحصلت قفزات مادية أساسها الاكتشافات

البترولية والتعدينية التي تمخضت عنها الطفرة المادية الشاملة، وربطت كل النطاقات الجغرافية سواءً في هذه المحافظة أو المملكة أو الدول الأخرى، فأصبحت مخرجات الحضارة تتدفق في كل سهل وجبل ووهاد ونجاد .

٣ : نطاق جبلي يمتد من السفوح الغربية لجبال السروات (الصّدُر) : فالجبال التهامية تلتقي مع السهل الصحراوي الساحلي , وهذا النطاق تنتشر فيه الجروف الصخرية والتلال الجبلية والمنحدرات الصخرية ، وتتعرض موسمياً للزخات المطرية التي تنحدر بقوة في الأخاديد الجبلية التي تكون الأودية المشكلة للروافد الرئيسة للأودية التهامية الكبيرة المتدفقة مياهها عبر النطاق الصحراوي شاقة طريقها إلى شواطئ البحر الأحمر، وتتدفق المياه السائحة (الغيول) من أعلى إلى أسافل هذه الأودية الجبلية، ويمتد بعضها في الأودية التهامية الرئيسة لها إلى نهاية النطاق الجبلي في انحداره إلى النطاق الصحراوي التهامي .

وتعد مهنة الرعي المهنة الرئيسة في هذا النطاق , يليها الزراعة واحتراف مناحل النحل . ويتأثر السكان في هذه المناطق صحياً ببعدهم أو قربهم عن المجاري (الغيول) التي تكون حروفها عادة موطنا لحياة الحشرات (ناقلات الأمراض): كالملاريا والبلهارسيا بصفة خاصة التي تنقلها الحشرات المتنوعة من جنس البعوض ، وما ينتشر من قواقع الحشرات المتسببة في البلهارسيا ، وقد كونت مراكز وفرق صحية منذ سنين لمكافحة هذه الأمراض وأسبابها المتوطنة في مناطق (الغيول) ، وتجدر الإشارة إلى أن قلة الأمطار وقيام السكان بإقامة الأحباس الزراعية بجوار (الغيول) إلى جفاف بعضها تماماً .

أما ما يخص الحدود والتركيبة الجغرافية لمدينة (القنفذة) العاصمة المركزية للمحافظة فنذكر منها التالي :

أولا : الموقع :

تقع هذه المدينة على رأس لسان من الأرض يمتد غرباً موازياً لخليج ما يسمى محلياً بـ (القنع) أو بحر القنع ، وإذا أمعنت النظر في خريطة مكبرة لموقع هذه المدينة وضواحيها القريبة وامتداد ما نسميه الآن بـ (خليج القنع) ، تجد أن موقعها يمثل نقطة الوسط من دلتا وادي (قنونا) ، الذي قامت عند نهاية فرعه الرئيس في شاطئ البحر الأحمر ويكتنفها من الشمال والجنوب مجريا هذا الفرع ، المجرى الجنوبي الذي لا يزال بوضعه الأخدودي واضحاً، والذي تحول إلى ما يسمى حالياً بـ (بحيرة القنفذة) ، وقد نظمته بلدية القنفذة بصورة أصبحت مضرب المثل في حسن استغلاله كموقع سياحي . أما المجرى الثاني فقد طغى عليه العمران في الخمسين السنة الأخيرة ، وما كان عميقاً منه أصبح في شكل فروع صغيرة نظمته البلدية أيضاً . ولمزيد من المعلومات عن موقع هذه المدينة، وسر اختياره لها أرفق لسيادتكم بحثي عن ذلك المنشور في إصدار (بلدية القنفذة) تحت عنوان : (القنفذة : نظرة جغرافية وتاريخية) [(١)]، بجانب ذلك يمكن أن تتفضلوا بالاطلاع على موقعها فيما جاء بمقدمة بحثي عنها المنشور في مجلة الفيصل لشهر شوال عام (١٤٠١هـ) بعنوان : (مدينة وتاريخ) [(٢)].

---

(١) انظر الجزء السابق من هذا القسم . (المؤلف) .

(٢) للمزيد من التفصيلات عن تاريخ بلدة القنفذة ، انظر : هاري سانت ، جون فيلبي . مرتفعات الجزيرة العربية : ترجمة حسن مصطفى حسن ، ومراجعة وتعليق غيثان بن علي بن جريس (الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م) ، ج ٢ ، ١٢٦٣ ــ ١٣٢٢ ، رحلة الحج من صنعاء إلى مكة المكرمة للعلامة إسماعيل جغمان . دراسة وتحقيق محمد الشنيان (الرياض:دارة الملك عبد العزيز .د.ت)، ص ٦٤ ــ ٧٢ ، حسن الفقيه . مخلاف عشم (الرياض : مطابع الفرزدق ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ، ص ٣٥ ، أحمد الزيلعي (المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلي) (٣ــ٩هـ / ٦ــ١٥م) ، حوليات كلية الآداب ، الحولية ، الرسالة (٣٩) (الكويت : جامعة الكويت ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ، ص ١١ وما بعدها . (المؤلف)

ثانياً. الناحية التاريخية والسياسية :

يمكنكم الاطلاع على بحثيّ آنفي الذكر فيما يخص بعض الأحداث التاريخية التي عاشتها القنفذة ، منذ نشأتها ، أما بالنسبة لأوضاعها الإدارية والأمراء الذين تقلدوا حكمها في ظل الدولة السعودية السنية أيدها الله , فقد زودتكم بكتيب يتضمن ذلك مفصلاً , وأعتقد في معلوماته ما يكفي [١].

ويحسن أن أشير استدراكاً للحديث عن موقع هذه المدينة فأذكر أن هذه المدينة التي تدل المعطيات التاريخية على أنها نشأت حول نهاية القرن الثامن الهجري ومطلع القرن التاسع ، ولذلك لم نذكر فيما اطلعت عليه من مصادر ومراجع تاريخية وجغرافية قديمة وحديثة ، إلا حول التاريخ الذي أشرت إليه عن نشأتها، ولعل من أهم ما يستدل به على ذلك أن جميع ما اطلعت عليه من كتب الجغرافيين القدماء العربية لم تتعرض لذكر اسمها، بدءاً من عصر (الأصفهاني) و(ابن خرداذبة) و (ابن واضح اليعقوبي) و(أبو محمد الحسن بن يعقوب الهمداني) . حتى عصر الجغرافي العربي الشهير (الإدريسي) ومن بعده (الحموي) وغيره ، وذلك عند تعرضهم لذكر أسماء المدن والقرى والمراحل الممتدة على طول طريق التجارة والحج ما بين اليمن ومكة (الطريق أو الطرق التهامية) التي سميت في مؤلفاتهم أسماء ما يقع على طريق الحج التهامية خاصة وطريق (محجة صنعاء) على الأخص ، حيث ذكروا أسماء

---

(١) للمزيد عن تاريخ وحضارة القنفذة انظر ، مصطفى عبد الوهاب عبد اللطيف . القنفذة : نافذة السراة على تهامة .(منشورات وزارة المعارف سابقاً (التربية والتعليم حالياً) إدارة تعليم منطقة القنفذة ١٤١٣هـ) ، ص ٣٣ وما بعدها . سميرة بنت مبارك بلسود . موانئ تهامة ومراسيها (الليث ، والقنفذة ، حلي ، البرك ، القحمة ، الشقيق ، جازان) (دراسة تاريخية حضارية) (١١٧٩ - ١٣٥٠هـ / ١٧٦٥- ١٩٣٢م) . رسالة ماجستير مقدمة في جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية (١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م) ، ص ٨٥ وما بعدها (المؤلف) .

لقرى ومدن ومواقع لاتزال معروفة ومشاهدة بنفسها أو آثارها ومحتويات أوعيتها الأثرية .

ومن الجدير بالذكر أن (قرية قنونا) التي ظن بعض المؤلفين المتأخرين أنها (مدينة القنفذة نفسها) كالأستاذ أحمد علي أسد الله الذي ألف كتيباً عنوانه: (الدولة السعودية) أو تاريخ الدولة السعودية ، وقال إن القنفذة هي قنونا، ولعله ومن ذهب مذهبه نظروا إليها في هذه التسمية من خلال موقعها عند مصب وادي (قنونا) على ساحل البحر الأحمر . بينما الراجح المؤكد عندنا بالقرائن والأدلة التاريخية أن (قرية قنونا) إنما هي القرية المقابلة شرقاً لمدينة القنفذة، والتي كان طريق الحج يمر بها تماماً ، ويؤكد ذلك وصف الجغرافي (الإدريسي) لقرية قنونا التي أشار إلى بئرها (بئر سقيا سكانها) [1] ، والقنفذة مدينة تحتل جزءاً من الأرض السبخية المجاورة لشاطئ البحر الأحمر التي لا يمكن أن يكون بها بئر لسقيا السكان بطبيعة الأرض السبخية . والقنفذة كما هو معلوم تعتمد في سقياها على جلب المياه من (حفائر) تقع في فروع وادي قنونا على بعد أكيال متعددة عن موقعها الذي تحتله بجوار شاطئ البحر الأحمر.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن انصراف موقعها غرباً عن امتداد طريق الحج والتجارة جعلها بمنأى عن اهتمام التجار والحجاج ورحلات المسافرين في العصور الإسلامية الأولى وما قبلها وما بعدها حتى توطن موقعها فئات هاجرت إليها من جنوبي الجزيرة العربية وغيرها غمرتها بنشاطها التجاري وبما جلبت إليها من أموال مهاجرة مع تلك الفئات التي أوجدت النشاط التجاري والحضاري بها وارتبطت أهليتها بهم ، ولا يزالون يمثلون الفئة الواضحة في تركيبتها السكانية ، وهم إخواننا من سكان مدن

---

(١) وحول ما أورد الرحالة والجغرافيون الأوائل عن بلادها تهامة والسراة والتي تقع منطقة القنفذة ضمن هذه الديار ، انظر . غيثان بن جريس . دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١ - ق١٠هـ / ق٧ - ق١٦م) (الرياض: مكتبة العبيكان ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج١ ، ص ٢١ وما بعدها (المؤلف).

وأودية حضرموت وبعض مدن جنوب الجزيرة العربية كمدينة عدن وما كان شمالها من المدن البحرية اليمنية الشهيرة المعروفة اليوم في (الجمهورية اليمنية) الشقيقة [١].

ثالثا:. التركيبة القبلية :

زودتكم بالبيانات الكافية الوافية عنها وعن مشائخها وفيها الكفاية فيما أعتقد [٢].

رابعاً:. التركيبة الاجتماعية لمحافظة القنفذة :

التركيبة السكانية أو التركيبة الاجتماعية في هذه المحافظة تتكون من مجتمع مدني حضري ومجتمع قروي بدوي وبادية، وتتمثل صفة المجتمع المدني الحضري في سكان المدينة نفسها " القنفذة " وفي السنوات الأخيرة تمثلت هذه الصفة في مجتمع القرى الكبيرة التي تكاد تضارع المدينة في حياتها الاجتماعية وخاصة بعد انتشار التعليم في طفرة واسعة صاحبتها الطفرة الاجتماعية ، بل ربما مست الحياة الحضرية حتى سكان القرى الصغيرة وخاصة مع انتشار الطرق المسفلتة وسهولة اتصال هذه القرى بأكبر منها . وتتمثل الطبقة البدوية في سكان ضواحي القرى الصغيرة وبعض المشتغلين بمهنة الرعي واقتناء قطعان كبيرة من النعم ، وقد يكون بينهم من المرتادين للنجوع ومواقع الرعي وموارد سقيا الأنعام [٣].

وتتكون مجتمعات المدن والقرى من فئات تتوزع بين الاشتغال بالوظائف الحكومية ووظائف القطاع الخاص ، وبين المشتغلين ببعض الحرف والصناعات التقليدية أو الزراعة ، وتكثر فئة الرعاة في البادية .

---

(١) وقد التقى الباحث بالعديد من أفراد الأسر الحضرمية في منطقة القنفذة ، وذلك خلال زيارته لها في عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ، وناقش مع بعض رجال تلك الأسر مواطنهم في حضرموت بل رأى عند البعض منهم مشجرات ووثائق ومخطوطات تدل على مواطنهم وجذورهم الرئيسة في جنوب الجزيرة العربية .(المؤلف).

(٢) لازالت بلاد القنفذة وما جاورها من نواحي تهامة جديرة بالدراسة والبحث الجاد وبخاصة في العديد من الجوانب الحضارية ، كالتعليم ، والاقتصاد ، والاجتماع ، والإدارة ، والآثار وغيرها.وللمزيد من التفصيلات عن التركيبة الاجتماعية والقبلية في منطقة القنفذة انظر : القسم السادس من هذا الجزء . (المؤلف) .

(٣) المرجع نفسه .

وأصبح التعليم سمة بارزة في هذه المجتمعات لا تتميز بها المدن والقرى الكبيرة فحسب بل تلك القرى التي انخرط أبناؤها في طلب العلم أو الاشتغال بمهنة التعليم والوظائف المدنية والعسكرية والمهنية . وخاصة بعد تنوع مصادر التعليم ما بين ابتدائية ومتوسطة وثانوية وكليات مهنية أو فنية ومعاهد تدريبية مهنية .

ولا تزال الأسرة مكونة من الأبوين والأبناء ذكوراً وإناثاً كباراً أو شباباً وصغاراً لا يفرق بينهم إلا اشتغال بعض الأبناء الكبار بأعمال وظيفية عامة أو خاصة تكون نواة لأسرة منبثقة عن الأسرة الأم . وتحكم الأسرة بتقاليد مرعية وقيم أخلاقية سائدة محافظة مع ترابطها لا يؤثر فيها إلا بعض الظواهر السلوكية التي جاءت بها تيارات التأثيرات السلبية التي تكاد تكون ظاهرة عامة ليس في المجتمع السعودي بل وفي جميع المجتمعات العالمية المعاصرة [١]. ويراعي أفراد الأسرة خصائص القيم والعادات والتقاليد في تبادل الاحترام والرعاية والتقدير والتعاطف وهنا تظهر أهمية الأسرة كوحدة اجتماعية تحافظ على ترابطها الأسري وتقاليد المجتمع وقيمه وثوابته الدينية بخاصة[٢].

أما فيما يخص العمارة السكنية في هذه المحافظة فتكاد تكون على سمة واحدة مثلها مثلما جرى في أي جزء من هذا الوطن الصغير أو الوطن الكبير تبعاً لوحدة أو تشابه المعطيات والخامات الأساسية المتاحة لبناء العمارة ولكنها في القرى الجبلية قد تكون أكثر ميلاً إلى البناء المسلح منها إلى البناء الشعبي ، والملاحظ أن سكان المناطق الجبلية أكثر تعلقاً وتمسكاً وتفاخراً بالبناء المسلح على الطراز الحديث سواءً كان في المدينة أو القرية أو حتى بين شماريخ الجبال والنجاد

---

(١) إن ما جرى ويجري من تغيرات اجتماعية وثقافية (إيجابية وسلبية) في منطقة القنفذة ، أو في جميع نواحي المنطقة الجنوبية ، أو المملكة العربية السعودية بشكل عام جديرة بالبحث والدارسة العلمية الجادة . وأنها مسؤوليات الجامعات ومراكز البحث العلمي التي يتوجب عليها الالتفات إلى هذا الجانب المهم والخطير في الوقت نفسه . (المؤلف) .

(٢) وهذه الصفات بدأت تضعف ، ويجب دراسة أسباب الضعف ووضع الحلول الناجعة لهذا الضعف والتقهقر .(المؤلف) .

والوهاد . وربما كان الاعتزاز بفخامة الطبيعة الجغرافية الجبلية وتأثر وإيحـاء في هـذا الجانب [١].

وما يزين بيوت سكان هذه المحافظة في جميع نطاقاتها الجغرافية مارة الذكر من أثاث ورياش ومقتنيات هي التي يجدها المطالع في مثيلاتها في المناطق الأخرى سـهلها وجبلها إلا ما يكون من خصائص البيئة وطبيعتها وكذا عما يتعلق بالألبسة وأدوات الزينة والأطعمة والأشربة والعادات الاجتماعية ومظاهر حفلات الزواج واستقبالات الشخصيات المهمة ، والختان في المستشفيات للمواليد واختفت مظـاهر حفـلات الختان خاصة سواءً ما يتعلق بالألعاب والرقصات أم ما يتعلق بالختان في سن الشباب كالعادات القديمة ويعود اختفاء ذلك إلى لرقي الوعي برقـي التعلـيم والتـأثيرات الحضارية [٢] .

خامساً : ما يختص بالتركيبة الاقتصادية :

ففي المدينة القنفذة تشتغل طبقة واسعة من السكان بالوظائف العامة والخاصة، يليها الاشتغال بالبيع والشراء والتجارة ، وقلة من السكان لا تزال تمتهن صيد الأسماك لـوفرة محصول المصائد واعتماد السكان في غذائهم على الأسماك بصفة مساوية لاعتمادها علـى لحوم الأغنام (الماعز والضأن) ، بعد أن كان الوضع المادي أو الاقتصادي يقتصر بهم على استهلاك الأسماك بصفة رئيسة أكثر من اللحوم: لحوم الأنعام ، وتقدم الحديث عن الرعي بإيضاح كاف ، أما مواسم الحصاد فهي على وضعها التقليدي من عمليات بذر في الأطيان الزراعية ، والأراضي البعلية وإن تغيرت الوسيلة القديمة إلى الآلة كالحراثات والحصادات والذاريات التي أصبحت هي الوسيلة لهذا النشاط إلى حدٍ ما .

---

(١) للمزيد من التفصيلات عن أشكال العمارة في جنوبي البلاد السعودية ، انظر: غيثان بن علي جريس : عسير دراسة تاريخية ، (١١٠٠ ــ ١٤٠٠هـ) ، ص ٣٧ ــ ٥٨ وما بعدها . (المؤلف).

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٥ وما بعدها . (المؤلف).

سادساً : الحياة الفكرية والعلمية والأدبية والتعليمية :

اقتضت طبيعة مدينة القنفذة كميناء تجاري كانت له أهمية كبيرة من خلال أهمية موقعه البحري ، وما كان يزخر به من حركة تجارية ، أن يكون به طبقة واسعة من القراء والكتبة الذين يعد وجودهم ضرورة تجارية ، وحضرية ، ناهيك عن كون هذه المدينة إحدى المدن الإسلامية منذ نشأتها، تتعدد فيها مآذن المساجد ومنابر الجمع والأعياد والمناسبات الدينية ، أن يكون بها طبقة من المتعلمين ، فضلاً عن أن طبيعة الحكم والإدارة في مدينة كهذه تعد عاصمة مركزية لمنطقتها أو محافظتها اقتضت أن يكون بها من رجال الحكم الشرعي والإداري ما تقوم به موازين العدل وشيوع تقرير الأحكام وضبط النواحي الأمنية والاجتماعية ، والاقتصادية والسياسية ، وهذا مما يحتم وجود بعض العلماء والمتعلمين الذين ينهضون بهذه المسؤوليات والوظائف .

كانت مدينة القنفذة منذ نشأتها تعج بعدد من الكتاتيب التي يتلقى فيها النشء والشباب قراءة القرآن والكتابة والحساب ، وكانت قرى هذه المحافظة لا تخلو أي منها من وجود كتاب يهتم بتعليم القرآن الكريم والكتابة والعلوم الدينية التي كانوا من خلالها يتولون فصل خصومات السكان وعقود أنكحتهم وتقسيم مواريثهم والقيام بالوجبات الدينية في أيام الجمع وغيرها وتوثيق البيوع وتحرير حجج السكان لأراضيهم الزراعية والسكنية وغيرها. وهذا كله كما أشرنا ضرورة حتمية وحضارية تستلزمها طبيعة العمران والحياة في شتى مناشطها.

أما التعليم النظامي فقد كان في مدينة القنفذة وحدها مدرسة نظامية في العهدين الهاشمي والتركي ، وتخلو القرى من هذا النوع من التعليم ، وعندما دخلت القنفذة تحت ولاية العهد السعودي الميمون ، وكانت قد توقفت المدرسة النظامية إبان حركة الحروب التي كانت تشن عليها من عهدي الأشراف خاصة والأتراك بعامة ، ثم أ نشأت الدولة السعودية نصرها الله أول مدرسة نظامية سعودية سميت في حينها وإلى الآن بـ (المدرسة السعودية الابتدائية بالقنفذة) ، وتذكر مصادر التعليم بهذه المحافظة أن تأسيسها كان سنة

الصفحة الأخيرة من مذكرة الأستاذ حسن الفقيه المرسلة إلى المؤلف في عام (١٤٢٤هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

حسن بن إبراهيم الفقيه
عميد كلية المعلمين بالقنفذة سابقاً
هاتف ٠٧-٧٣٢٠٨٨١
٠٧-٧٣٢١٠٥٢
فاكس ٠٧-٧٣٢٠٨٢٢

التاريخ / / ١٤هـ
الموافق / / ١٩م

(١٩)

الشاعب الكاتب الأستاذ عبدالعزيز حفظه الله.

سابقاً: ماذكرته المقرن (٧) أعتذر لسماحتكم لأنه هذا محاج إلى بحث واستقصاء ولاساعدني حالتي الصحية على الكتابة عنه وكذا بالنسبة لمقرن (٨، ٩) وعلمكم الإطلاع على إصدارات نادي القنفذة برئاسة الأستاذ التربوي - المقروءة والمرئية والمسموعة إضافة إلى ما أصدرته أنا. وفقكم الله ولسماحتكم خالص تحياتي وتقديري مع متمنياتي أن تعذروني عن تأخر الإجابة بسبب أمور لا أريد الإطالة بها سلمكم الله وأبصركم الله ورعاكم بتوفيقه.

أخوكم

حسن إبراهيم الفقيه

القنفذة ص.ب ١٠٥٠

ت ٠٧/٧٢٢٠٥٥١

(١٣٤٩هـ) مع اعتقادي أنها وجدت قبل هذا التاريخ ببضع سنين ، ثم أحدثت ثاني مدرسة نظامية ابتدائية باسم (مدرسة حلي) ، وفتحت في وسط قرى (وادي حلي) في أسافل امتداد (وادي حلي) الشهير وذلك في مستهل العام الهجري ١٣٦٣هـ . (ضمن إطار محافظة القنفذة). ثم توالت إحداثات المدارس الابتدائية بعد ذلك منذ عام (١٣٧٠هـ) حتى بلغ عددها ومراحلها كما هو في الإحصائيات الرسمية لتعليم محافظة القنفذة (يمكنكم العودة إلى هذه الإحصائيات لدى الإدارة المذكورة) أما الحياة العلمية والفكرية فيمكنكم العودة إلى كتاب (الحياة الفكرية في جنوبي المملكة) لزميلكم الأستاذ الدكتور عبد الله بن محمد أبو داهش وبه ذكر بعض مشاهد العلماء قديماً بهذه المحافظة ، أما عن مشاهير رجال التربية والتعليم وكذا الأدب والشعر فمظان ذلك إصدارات وزارة التربية والتعليم سواءً عن الرواد أو عمن ذكر في الموسوعة التي مولها سمو النائب الثاني الأمير سلطان بن عبد العزيز حفظه الله [1].

سابعاً : ما ذكر في الفقرة (٧) أعتذر لسعادتكم لأن هذا يحتاج إلى بحث واستقصاء لا تساعدني حالتي الصحية على الكتابة عنه ، وكذا بالنسبة لفقرتي (٨ ، ٩). ويمكنكم الاطلاع على إصدارات تعليم القنفذة – قسم الإعلام التربوي – المقروءة والمرئية والمسموعة إضافة إلى ما أوضحته آنفاً . وفقكم الله . ولسعادتكم خالص تحياتي وتقديري مع شديد أسفي واعتذاري عن تأخر الإجابة بسبب أمور لا أريد الإثقال على سمعكم أو بصركم بها ، والله يتولاكم بتوفيقه .

أخوكم/ حسن بن إبراهيم الفقيه – (القنفذة ص.ب (١٠٥٠)

٤ . رأي للفقيه حول اسم القنفذة عند المؤرخ الجندي :

قلنا إن وجود اسم القنفذة كما جاء في كتاب السلوك للجندي هو محل شك أو نظر لأن المعلومة الوارد فيها ذكر هذا الاسم (القنفذة) لا تستقيم مع قوله عن (حلي)

---

(١) ما تم الاستفسار عنه من الأستاذ الفقيه من جوانب جغرافية ، وتاريخية ، وحضارية ، تعد مفاتيح تساعد الباحثين وبخاصة طلاب الدراسات العليا في الجامعات على أن يتوسعوا في دراستها فيخرجوا لنا أبحاثاً علمية تاريخية رصينة ، وهذا ما نأمله ونتطلع إليه من أبنائنا وبناتنا الباحثين الواعدين . (المؤلف).

أنها (القنفذة) ، فقد همش محقق الكتاب الشيخ محمد بن علي الأكوع (رحمه الله) بذلك فقال : إن (حلي غير القنفذة) ، كما ذكرنا في ثنايا مقالنا المنشور : بعنوان (القنفذة .. نظرة جغرافية وتاريخية)[1] في الإصدار الذي أصدرته بلدية القنفذة بعنوان : القنفذة : لؤلؤة على الساحل ، وتجدر الإشارة إلى أنه قد تيسر لي الذهاب إلى قسم المخطوطات بالمكتبة المركزية لجامعة الملك سعود بالرياض. ووجدت مصورة كتاب السلوك (نسخة باريس) التي اعتمدها محقق الكتاب كأصل للتحقيق فلم أجد بها نص العبارة المطبوعة في كتاب السلوك التي تقول: (مدينة حلي وتسمى القنفذة) ، بل جاءت العبارة فقط (مدينة حلي) ، واستمر سياق الكلام دون وجود لقوله : (وتسمى القنفذة) ، كما تيسر لي الذهاب إلى دار الوثائق (دار الكتب الوطنية) في القاهرة واطلعت على مصور مخطوطة نسخة دار الكتب من كتاب السلوك للجندي التي اعتمدها المحقق نسخة ثانية في تحقيق الكتاب المذكور فوجدتها أيضاً خالية من عبارة (وتسمى القنفذة) . بل ووجدت ثلاث نسخ غيرها في دار الكتب من مصورة كتاب السلوك إحداها بعنوان (تاريخ الجندي)، مع أن المحقق ذكر أنه لا يوجد بالدار غير النسخة التي اعتمدها مع نسخة باريس في تحقيق الكتاب . وكانت تلك النسخ كلها خالية من عبارة (وتسمى القنفذة) . نخلص من ذلك إلى أن (الجندي) لم يذكر اسم القنفذة لأنها في عصره (نهاية القرن السابع والثلث الأول من الثامن الهجريين) لم تكن موجودة وليس هناك مدينة أو بلدة اسمها (القنفذة)، ويظهر غالباً مع حال سن المحقق أن ورودها في كتابه من إقحامات أحد نساخ كتابه الذين قاموا بنسخه . وأرجو الله أن يمد في العمر لأتمكن من زيارة ورثة المحقق للتأكد من مطالعة مسودة السلوك للجندي للتثبت يقيناً من صحة ما ذكرت . وعرض الموضوع عليهم مع ما لديّ من صورة الصفحات للمخطوطات الواردة بها عبارة : (مدينة حلي) الخالية تماماً من ذكر عبارة (وتسمى القنفذة) ، ليلاحظوا ذلك عند طباعة الطبعة الثانية من الكتاب . والله المسؤول في التوفيق والسداد .

حسن بن إبرهيم الفقيه . القنفذة . حي الشرفية .

---

(١) انظر المحور الأولى من هذا القسم . (المؤلف).